

# الكنيسة المصرية تتمدد عبر العالم.. دوافع دينية لا تخفي الملامح السياسية

## أقباط المهجر قوة ناعمة يستغلها البابا تواضروس والنظام المصري

تدفع الكنيسة الأرثوذكسية المصرية نحو تمدها في العالم لتكريس التواجد القبطي من خلال ما أسماه قادة من الكنيسة بـ"خطة الانتشار وخدمة الأقباط في المهجر كنسيا حتى عام 2040" من أجل بلوغ العديد من الأهداف أهمها تلك التي تلبى دعوة الإنجيل إلى نشر البشارة في المناطق المأهولة بالسكان وكذلك استغلال البابا تواضروس لهذه الخطوة من أجل خدمة النظام.



شيرين الديداموني  
صحافية مصرية

في أوروبا" على استطلاع رأي اجتماعي أوروبي جرى خلال الفترة من 2014 إلى 2016.

وتعتبر تلك الظروف مثالية للكنيسة المصرية إن أرادت الانتشار، ومن السهل جذب أتباع جدد للطائفة الأرثوذكسية وتوافر فرصة جيدة لاحتواء أتباعها تحت مظلتها عن طريق شراء الكنائس المهجورة من أبناء الطوائف الأخرى، لأن هناك من يشتكي من أن كلفة تشغيل الكنيسة والدير تمثل عبئا ثقيلا. وقد هجرها الكثير من الأتباع وتناقص عدد المصلين إلى نسبة متدنية، ما يدفع المسؤولين إلى التفكير في تاجير الكنيسة أو بيعها بأرقام زهيدة، تستطيع الكنيسة المصرية سدادها من خلال تبرعات أقباط المهجر، أو عبر قروض وأقساط يسدها هؤلاء أيضا.

### توظيف السلطة الروحية

لم يكن الاهتمام بأقباط المهجر وليد الفترة الراهنة؛ ففي منتصف القرن العشرين وخلال فترة تولي البابا كيرلس السادس عين الأنبا صموئيل سنة 1954 مندوبا باسمه للأقباط في أوروبا، وفي عام 1964 تأسست أول كنيسة قبطية في كندا، وتوالت التوسعات حتى أصبح هناك حوالي 600 كنيسة مصرية في 65 دولة و120 ديورا وتم شراء أو تاجير أكثر من 80 في المئة منها.

وأكد الكاتب القبطي كمال زاخر أن مرحلة ما بعد ثورات الربيع العربي شهدت هجرات عشوائية جمعت بين الأسباب الاقتصادية والتصاعد في وتيرة استهداف الأقباط ما تطلب وجود كنائس لتغطية احتياجات المناطق التي هاجر إليها المصريون.

ويتراوح الوجود الكنسي القبطي في بلاد المهجر والمنطقة العربية بين الإبراشيات، كما هو الحال في أميركا والبرازيل وأستراليا وأوروبا، وبين كنائس منفردة، كما هو الحال في منطقة الخليج ولبنان والأردن، وبعض الكنائس المتفرقة في دول آسيا.

ويجبر التوسع الكنسي عن إدراك الكنيسة أن هذه ورقة رابحة في يديها تستطيع توظيفها دينيا أو سياسيا، فرؤية البابا الراحل شنودة الثالث جعلته يعطي وقتا وجهودا للتوسع الأرثوذكسي عالميا، مؤكدا أهمية المهجر كفضاء وامتداد للكنيسة القبطية مستقبلا، والتي وصلت في عهده إلى قارات العالم الست.

وتقوم الكنائس في الخارج بدور مهم في دعم الكنيسة والأقباط في الداخل، روحيا وسياسيا وماليا واجتماعيا، وبدا ذلك جليا في ظل حوادث العنف الطائفي في مصر خلال فترة السبعينات من القرن الماضي والتضييق على بناء الكنائس، فعندما تبدأ كنائس مصر إضرابا وصياما تساندتها كنائس المهجر، وبذلك يكون الصوت مدويا في أرجاء المعمورة وليس قاصرا أو مزويا داخل الدولة.

وفي موقف يحمل دلالة واضحة على توظيف الكنيسة المصرية لورقة أقباط الخارج روي عن البابا شنودة أنه أصدر تعليماته لكهنة الكنائس في أميركا بالخروج لاستقبال الرئيس الراحل حسني مبارك الذي كان يعزّم زيارة واشنطن عقب حوادث قرية الكشع المصرية وما تبعها، كالعادة، من اتهام البعض بتعمد اضطهاد الأقباط.

ويشير هذا الموقف إلى أهمية السلطة الروحية المطلقة للكنيسة المصرية على كنائس الخارج وقدرتها على توظيفها سياسيا لتحريك



### توسيع حضور الكنيسة المصرية ومثليتها

خاصة إذا كانت هجرتهم إلى مجتمعات مفتوحة وسقف الحريات عندهم مرتفع، فضلا عن التصادم بين المجتمع الأبوي المنغلق والمجتمع المنفتح.

### الحكومة المصرية تعلم أن أقباط المهجر قوة ناعمة، ولهم تأثيرات حيوية على بعض الجهات التي تلعب دورا في صناعة القرار

وقال مايكل ميخائيل، رجل أعمال من أقباط المهجر، لـ"العرب" "بعد هجرتي أنا ومجموعة من الأقباط إلى أستراليا توجهنا للصلاة في إحدى الكنائس، ورغم الخدمة المميزة إلا أنها كانت دارا للعبادة فقط، وكنا نفتقد روح كنيسة مصر، لكن عادت إلينا تلك الروح بعد تدشين البابا تواضروس كنيسة الشهيد مار مينا والشهيدة ماريينا بهالام، في ملبورن منذ ثلاث سنوات".

وبعد أن كان يذهب إلى كنائس أخرى ويأتي إليه الراعي ليقدم صلاة مصرية بين حين وآخر أصبحت لديه كنيسة مصرية، وتزايد العدد والإقبال، ومن هنا بدأوا غرس بذرة الثقافة القبطية والكلام باللغة المصرية.

يعد التوسع في بناء كنائس في دول المهجر ضروريا للحفاظ على الهوية القبطية لأن الصلاة في كنائس أخرى تعرض الشخص لسماع أقوال وتعاليم تختلف عن التعاليم الأرثوذكسية، ويمكن أن يثار بها مقلما حدث للصيدلي حنين عبدالمسيح مؤلف كتاب "كنت أرثوذكسيا والان أبصر".

وأكدت ماريان فادي، وهي من أقباط المهجر، لـ"العرب" أنه "عندما يبني الأقباط كنيسة في أي دولة فالول شيء تفعله العائلة هو شراء منزل قريب منها، وبذلك يتم تكوين تجمع مصري بجوار الكنيسة، وتتكون الصداقات بين العائلات وتختصر المسافات بين أبناء الجالية وتعودهم عن الحرمان الذي يكابدونه لبعدهم عن عائلاتهم وأقاربهم، واعتاد الشباب والأطفال في المهجر ضياع هويتهم هم وأجيالهم ويمنع نوياتهم في العادات والتقاليد الغربية.

وعندما سئل البابا شنودة عن الأسباب التي أدت إلى تمدد الكنيسة خارج الحدود قال "الجنسية شيء، والولاء شيء آخر، والأطفال في الصلوات يتم تذكيرهم باستمرار بالكنيسة وأبائهم وقوانينها".

ويجد أقباط المهجر أنفسهم أمام أزمة التعاطي مع تباين الثقافات بين المولن الأصلي والمولن الجديد،

باللغة العربية لأن أبناء الجيل الثاني والثالث من المهاجرين لا يتقنونها. أشار هذا الأمر لغطا، وبعد أن كان سلفيو الكنيسة يشجعون ازدواجية القبطية - العربية أصبحوا يصوبون سهامهم صوب ثلاثية القبطية - العربية - لغة المولن.

ولم يلتفت البابا إلى الانتقادات التي وجهت له بسبب رحلاته الرعوية وإنفاق الكنيسة أموالها على بناء كنائس بالخارج بينما يعاني بعض رعاياها بالداخل من الفقر والجوع، ولم تكن الحرب التي شنت عليه والمطالبة بعزله عن استكمال خطته.

وما شجعه على ذلك العلاقة الجيدة التي ربطته برجال الدين في الدول الأخرى، والتي يمكن لمسها من تنازله عن كنائس كهنية للكنيسة المصرية. وشدن البابا مؤخرا كنيسة السيدة العذراء والقديس يوحنا الإنجيلي بمدينة أنتويرب البلجيكية، بعدما أعلن أنها مهداة من الكنيسة الكاثوليكية، وأثناء زيارته لألمانيا عام 2019 تسلم كنيسة من الطائفة ذاتها بمدينة دوسلدورف كهنية من الكاثوليك هناك، وخلال زيارة رئيس كنيسة قبطية في بلاه.

### الحفاظ على الهوية

استقرار حالة الأقباط المهاجرين مسألة صعبة لعدم وجود خارطة معلوماتية وسوسولوجية لهم، من زاوية أعدادهم الحقيقية وهيكلهم العمري وأجيالهم وسنوات الهجرة والعاملين منهم والعاطلين وتخصصاتهم. واختلفت التقديرات بالنسبة إلى عددهم، وبحسب بعض المصادر القبطية يتراوح عددهم بين 600 ألف و مليونين، وتشابه إشكالية عددهم مع إشكالية تعداد الأقباط داخل مصر، فبينما يقول زعماء الأقباط إن نسبتهم حوالي 20 في المئة من تعداد السكان البالغ عددهم نحو 105 ملايين نسمة تقول مصادر حكومية إن نسبتهم لا تتعدى 10 في المئة، تشمل كل الطوائف المسيحية.

ومن خلال رصد كتاباتهم والتواصل مع بعضهم عبر صفحاتهم على مواقع التواصل يمكن ملاحظة أن بناء كنائس مصرية في بلاد المهجر ينقذهم من ضياع هويتهم هم وأجيالهم ويمنع نوياتهم في العادات والتقاليد الغربية. وعندما سئل البابا شنودة عن الأسباب التي أدت إلى تمدد الكنيسة خارج الحدود قال "الجنسية شيء، والولاء شيء آخر، والأطفال في الصلوات يتم تذكيرهم باستمرار بالكنيسة وأبائهم وقوانينها".

ويجد أقباط المهجر أنفسهم أمام أزمة التعاطي مع تباين الثقافات بين المولن الأصلي والمولن الجديد،

السياسية في بلد الإقامة، وربما ساعدت الكنيسة على التوسع خارجيا لاحتوائهم باعتبارهم مواطنين مصريين وتشغلهم هموم وطنهم، وتستطيع توظيف أدواتها الدبلوماسية لدعم النظام الحاكم والتماهي معه والحشد له.

### انتشار الفكر الإلحادي

يمكن الربط بين تمدد الكنيسة المصرية عالميا ووضعها خطة مستقبلية لسنوات قادمة والمخاطر التي تهدد أقباط المهجر، كدوبان الأجيال الناشئة من الأقباط في مجتمعاتهم الجديدة وما يقابله من انحسار دور الكنيسة الأرثوذكسية في أجيال المؤمنين وبحكم دورة الزمن، وخروج هؤلاء من المشهد، سوف تندر كنيسة المهجر، إلا من بضع مئات من المهاجرين الجدد.

كما أن الكثير من الأجيال الجديدة تذهب إلى الكنيسة مجاملة للأباء، ويتبع ترمد الشباب على نمط الفكر الروحاني الفرصة لانتشار أدبيات الفكر الإلحادي، وهو ما ينتهي بمجرد بلوغ الأبناء مرحلة الاستقلال إلى الإلحاد أو اللاهوتية.

وقد ظهر تيار انغزالي متطرف له طموحات سياسية، ومثل انقلابا على مسار الكنيسة التاريخي؛ حيث تلقت نخبة أرثوذكسية تعليمها في الغرب، ولا تتمسك بالتراث القبطي، وتمتلك المال والنفوذ، والأخطر اندماج أجيال الجاليات القبطية في دول المهجر.

وأدرك البابا تواضروس مخاطر ذلك على مشروعه الإصلاحية وما ينجم عنه من انفصال هذا التيار بكنائس لها أفكار خاصة به في المستقبل، مقلما فعل بعض المنشقين عن الكنيسة في مصر. وقد تجذب تلك الكنائس المزيد من الرعايا بأفكارها البراقة للجيل الجديد، فيتركون عضوية الكنيسة القبطية، أو يفقدون الهوية المصرية وسط صحب الحياة الغربية.

تفسر هذه الأسباب اهتمام بابا الأقباط بالشباب وحرصه الشديد على التواصل معهم ودعوتهم إلى زيارة مصر تحت مبادرة "العودة إلى الجذور" وتذليل عقبات كثيرة لربطهم بالكنيسة. كما نصح المركز الإعلامي للكنيسة بترجمة قصصه للأطفال إلى اللغة الإنجليزية للتواصل مع الأجيال الناشئة ممن يعيشون في المهجر.

وقرر تواضروس أن تكون الصلوات في الكنائس المصرية في المهجر بلغة القبطية ولغة البلد الذي يعيش فيه المواطنون، وعدم التمسك

الكهنة، ومن ثم أقباط المهجر، في الاتجاه الذي يريده؛ فمن يأمر أتباعه باستقبال الرئيس يستطيع إصدار أوامر تقضي بمقاطعته.

وتعلم الحكومة المصرية أن أقباط المهجر قوة ناعمة مهمة، ومهما كان عددهم لهم تأثيرات حيوية على بعض الجهات التي تلعب دورا في صناعة القرار، ومنهم من يشارك في الحياة

مرحلة ما بعد ثورات الربيع العربي شهدت هجرات عشوائية جمعت بين الأسباب الاقتصادية والتصاعد في وتيرة استهداف الأقباط ما تطلب وجود كنائس لتغطية احتياجات المناطق التي هاجر إليها المصريون.

ويترشح الوجود الكنسي القبطي في بلاد المهجر والمنطقة العربية بين الإبراشيات، كما هو الحال في أميركا والبرازيل وأستراليا وأوروبا، وبين كنائس منفردة، كما هو الحال في منطقة الخليج ولبنان والأردن، وبعض الكنائس المتفرقة في دول آسيا.

ويجبر التوسع الكنسي عن إدراك الكنيسة أن هذه ورقة رابحة في يديها تستطيع توظيفها دينيا أو سياسيا، فرؤية البابا الراحل شنودة الثالث جعلته يعطي وقتا وجهودا للتوسع الأرثوذكسي عالميا، مؤكدا أهمية المهجر كفضاء وامتداد للكنيسة القبطية مستقبلا، والتي وصلت في عهده إلى قارات العالم الست.

وتقوم الكنائس في الخارج بدور مهم في دعم الكنيسة والأقباط في الداخل، روحيا وسياسيا وماليا واجتماعيا، وبدا ذلك جليا في ظل حوادث العنف الطائفي في مصر خلال فترة السبعينات من القرن الماضي والتضييق على بناء الكنائس، فعندما تبدأ كنائس مصر إضرابا وصياما تساندتها كنائس المهجر، وبذلك يكون الصوت مدويا في أرجاء المعمورة وليس قاصرا أو مزويا داخل الدولة.

وفي موقف يحمل دلالة واضحة على توظيف الكنيسة المصرية لورقة أقباط الخارج روي عن البابا شنودة أنه أصدر تعليماته لكهنة الكنائس في أميركا بالخروج لاستقبال الرئيس الراحل حسني مبارك الذي كان يعزّم زيارة واشنطن عقب حوادث قرية الكشع المصرية وما تبعها، كالعادة، من اتهام البعض بتعمد اضطهاد الأقباط.

ويشير هذا الموقف إلى أهمية السلطة الروحية المطلقة للكنيسة المصرية على كنائس الخارج وقدرتها على توظيفها سياسيا لتحريك

